التربية والتعليم
في الدول الإسلامية
خلال القرن ١٤
من التبعية إلى الأصالة

تأليف

حمد بكر العليان

دار الأنصار
بالقاهرة

التربية والتعليم في الدول الإسلامية خلال القرن ١٤

من التبعية إلى الأصالة

تأليف

حمد بكر العليان

دار الأنصار

مكتبة . طباعة . نشر . توزيع

٨١ ش البستان . ناصية ش الجمهورية

أمام قسم عابدين ت ٩٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل قلب يعتصره الألم وهو يرى تخلف بلاد المسلمين عن مواكبة التقدم .

وإلى أجيالنا القادمة أبناء القرن الخامس عشر الهجرى الذين عليهم الأمل ، وفيهم الرجاء بعد الله بأن يعيدوا مجـــد المسلمين ، ويستردوا مكانة بلادهم .

إلى كل أب ومربى ومدرس . . دعوة إلى تطهير التعليم والتربية عن كل ما خالطهما مما يخالف جوهر العقيدة ، لتداركها فى تعليم وتربية الأجيال القادمة . .

أقدم هذه الصفحات . .

حمد بن بكر العليان

تقديم

إن الحمد لله ، نحمده تعالى ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا .

وبعد :

فإن أول ما خاطب الله تعالى به نبيه محمداً ﷺ قوله : إقرأ .. ذلك أن القراءة هي أس العلم وقاعدته الأولى ، وبالعلم والمعرفة يحقق الإنسان ذاتيته المتميزة عن جميع المخلوقات . وليكون تسخير الكون له قائماً على الحق ، وليكون من بعد الخليفة الذى يعمر الأرض بالعدل والخير .

ومن قبل .. فقد قال تعالى لأول رسله (آدم) ـ عليه السلام ـ (وعلم آدم الأسماء كلها) .

فحين باشر وجوده على سطح هذه الأرض ، باشره بالعلم الذى أوتيه من لدن العزيز العليم .

* * *

وإنى لأجدنى بتواضع شديد أقدم لهـذه الرسالة التى اضطلع بمهمة بحثها وتدبيجها يراع الأستاذ الـكريم : (حمد بن بكر العليان) باذلا فيها كل جهد ودرس ، جزاه الله خيراً .

والحقيقة التى لا مراء فيها أن موضوع التربية والتعليم فى ديار العرب والمسلمين بحاجة قصوى إلى إعادة تقييم وتقويم ، فقد أفسد علينا الغرب والشرق معاً أصول وقواعد التربية والتعليم التى سنها لنا الله سبحانه فى كتابه الـكريم ، وبينها منهج المصطفى «ﷺ» فى حياته العملية . .

ولست أقصد الفروع . . فروع العلم والمعرفة والثقافة ، فإن لـكل عصر مستجداته ومتطلباته ، لـكن أقصـد الأصول الـكلية والقواعد الرئيسية التى تتناول عقل الإنسان ونفسه ، ومن ثم كليته وكينونته .

* * *

ولم يغب عن علم الباحث المؤلف ذلك ، فقد أداه حقه ، ووفاه بما أمكنه وتوفر له .

أسأل الله تعالى ، أن يسدد خطانا جميعاً لما يحبه ويرضاه ، وأن يحقق الفائدة المرجوة من هذه الرسالة ؛ وهو وحده ولى التوفيق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة فى ١٩٨١/١/٥ محمد علي قطب

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

فإن أهم ما يميز الشعوب ويبرز الأمم هو مستوى التعليم عندها .

فمتى ما رأينا أمة كثر فيها المتعلمون الواعون المدركون لمسئولياتهم فإننا نجزم بأن هذه الأمة تسير على خط تعليمي جيد .

ومتى ما تفشت الأمية وقل المتعلمون فإننا نجزم بأن خط التعليم في هذه الأمة فاشل .

ويجب أن ندرك هنا أن المتعلم ليس حامل الشهادة فقط .

إنما هو حامل العلم الذي يميزه عن غيره من الناس .

والشهادة إنما تكون دليلا على حمله للعلم وشاهداً على تحصيله له .

ومن هنا يبرز لدينا معنى آخر هو أن التعليم ليس هو تلقي المعلومات فقط . . إنما هو نشرها بأسلوب جيد وتربية الناس عليها وهذا ما يوضح لنا معنى التربية .

والتى لا يمكن فصلها عن التعليم بأى حال من الأحوال .

فالتربية هى أسلوب إلقاء أو تلقى المعلومات والتعليم هو تلقى أو إلقاء المعلومات .

أى أن التربية هو الشكل الذى يعطى أو يؤخذ به العلم .

وفى هذه الصفحات سوف نتعرض لواقع التربية والتعليم فى بلادنا الإسلامية بعد أن أخذ بنظام التعليم الحديث .

وترك نظام التعليم القديم الذى كان يعتمد على لقاء المدرس بتلاميذه فى أى صورة كانت وفى أى زمن كان فإذا اعتقد التلميذ أنه أتم تعليمه ولى عنه .

كما سندرس الواقع التربوى والتعليمى فى البلاد الإسلامية خلال السنوات الماضية بعد أن أخذنا بنظام التعليم الحديث . ليكون ذلك أوضح للقارىء .

وبما أن القرن الخامس عشر على الأبواب وإن طالت بنا الحياة فنحن من أبنائه كما كان آباؤنا من أبناء القرن الرابع عشر .

فإنى أعتقد أن ما نتمناه للقرن القادم سوف يكون نابعاً من واقع التعليم فى القرن الرابع عشر .

بمعنى أننا من الواجب أن ننظر لمساوىء التعليم ثم نتداركها فى

القرن القادم كما أننا ننظر إلى المحاسن ونحاول استمرارها .
وقد قسمت البحث إلى أربعة فصول :

يشمل الفصل الأول : مكانة التربية والتربية فى الإسلام وكيف اهتم الإسلام بالعلم وحث على نشره .

يشمل الثانى : تطبيق مباشر لهذا الاهتمام من جانب المسلمين وكيف كانوا يتعلمون ويتدارسون .

الفصل الثالث : الأسباب الموجبة لتقدم التعليم وقد ضربت مثالا لتطبيق هذه الأسباب وهو المملكة العربية السعودية .

الفصل الرابع : مناقشة الواقع التعليمى والتربوى الذى نعيشه من خلال بعض الأفكار التى حاولت علاجها ، والتى نأمل أن تتغير فى القرن القادم .

وفى هذه المقدمة أحب أن أشير :

إلى أن البعض عندما يسمع عن الكلام حول القرن القادم يتعجب وقد يعتبر ذلك سذاجة ، والحقيقة نقول أن المسلم يجب أن ينظر إلى مستقبله ويخطط له ويبنى على ما سبق أن النظرة إلى الماضى يجب أن تكون دافعة إلى التخطيط السليم والنظرة الصائبة المستقبل القريب .

والمستقبل بيد الله والأعمار بيده هذا حق لا شك فيه .

ولكن ليعمل المسلم متوكلا على الله وليتذكر قول رسول الله ﷺ (إذا كان فى يد أحدكم فسيلة فليغرسها فإنه له بذلك أجر) .

عسى أن يكون هذا البحث نواة لدراسات يخطط لها المسئولون عن التعليم فى البلاد الإسلامية . ونواة لدراسات يعتمدها المعلمون فى مدارسهم .

أرجو ذلك . والله الهادى إلى سواء السبيل .

الرياض ١/٧/١٤٠٠ هـ — حمد بن بكر العليان

بسم الله الرحمن الرحيم

مكانة التعليم فى الإسلام

الأمة الإسلامية ذات دين وعقيدة خاصة فلابد أن يكون نظام التعليم والتربية عندها خاضعا لهذا الدين وتلك العقيدة .

ومن هنا تكون (مسألة التربية والتعليم فى العالم الإسلامى مسألة مستقلة)[1] ذات أبعاد خاصة وخطوط واضحة .

فالإسلام يحث على التعليم ويرفع من شأن العلماء . فلقد قال رسول الله ﷺ (طلب العلم فريضة على كل مسلم وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان فى البحر)[2] .

والعلم فى الإسلام منه ما هو (فرض متعين على كل امرىء فى

---

(١) كتاب التربية الاسلامية الحرة ص ٧ لأبى الحسن الندوى .

(٢) أنظر كتاب جامع بيان العلم ص ٨ لابن عبد البر القرطبى .
وقد ذكره عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خاصته ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين) [1] .

إذاً فالعلم فى الإسلام أمر إلزامى فى جانب كما أنه اختيارى فى الجانب الآخر .

والعلم الإلزامى فى الإسلام هو ما لا يسع الإنسان جهله من الفرائض والشرائع وأحكام الدين والعلم الاختيارى (سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواهم به فى مصالح دينهم ودنياهم) [2] .

ومن هنا فليس التعليم فى الإسلام مقصورا على أصول الشرع إنما العلوم التجريبية والتطبيقية أيضا مما أمر بها الإسلام وحث عليها .

ومن هذا المبدأ رأينا الدولة الإسلاميـــة تفخر بالنوابغ والمبتكرين فى شتى جوانب العلم مما زاد عجلة التعليم ودفعها إلى الأمام فى وقت لم تكن وسائل الاتصال متوفرة ولا أساليب الطباعة موجودة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣ .

واقد كان التعليم يحظى بمكانة عظيمة فى الدولة الإسلامية ذلك لأن :

(شرف العلم لايخفى على أحد إذ هو مختص بالإنسانية لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والجراءة والقوة والجود والشفقة وغيرها سوى العلم به أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة وأمرهم بالسجود له .

وشرف العلم لكونه وسيلة إلى التقوى التى يستحق بها المرء الكرامة عند الله تعالى والسعادة الأبدية) (١) .

وكما ذكرنا آنفا أن مسألة التعليم فى البلاد الإسلامية مسألة مستقلة ذلك للأسباب التالية :

١ – أن الأمة الإسلامية ذات منهج خاص مستمد من القرآن الكريم والسنة المطهرة . فليس من المعقول أن تميل عنه أو تبتعد ومن ثم تدعى أنها تأخذه .

٢ – وأن لديها تاريخاً ضخماً وتراثاً عظيما لابد أن تحافظ عليه وتعلم الأجيال كيف تأخذه وتستفيد منه .

٣ – إن كل بلد من بلدان العالم تأخذ منهجا تعليميا يوافق

---

(١) كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم ص ٥ (وهو كتاب بطبعة قديمة ممزقة حبذا لو أعيد طبعه لأنه يحتوى على منافع فى الجوانب التعليمية المختلفة) .

فلسفتها ومبادئها (فروسيا التى حطت راية التحرر والثورة على كل تقليد وتجديد وتقييد . قد أخضعت جميع العلوم والآداب النظرية منها والتطبيقية حتى علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية ولنظريات قادتها ومؤسسى دعوتها (كارل ماركس) و (انجلز) و (لينين) وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك القادة رباطا وثيقا مقدسا)[1] .

وكذلك البلاد الغربية فإنها (لا تسمح بالمواد الأجنبية والمناهج التعليمية التى تبذر بذور الشيوعية والاشتراكية)[2] .

فلا تفكر بريطانيا مثلا فى أن تأخذ مناهج التعليم الفرنسية أو أن فرنسا تسير على منهج تعليمى بريطانى .

ورأيهم فى ذلك أن التعليم ليس بضاعة تستورد من بلد إلى بلد كما قال كونانت Conant الأمريكى .

(إن عملية التربية ليست عملية تعاط وبيع وشراء وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل . إننا فى فترات التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الانجليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية)[3] .

---

(١) كتاب التربية الإسلامية الحرة للأستاذ أبو الحسن الندوى ص ٥٥ .

(٢) من كتاب التربية الاسلامية الحرة ص ٥٦ .

(٣) من كتاب التربية الإسلامية الحرة ص ٥٨ .

ولهذا فإن كلا من الدولتين روسيا أو أمريكا تبذلان الملايين من المال لأغراض الترجمة فلقد أنشأ لينين (لجنة خاصة ١٩٢٢م باسم Comminlit كان واجبها جمع الكتب العلمية من كل أنحاء العالم وترجمتها إلى اللغة الروسية ولهذا فنجد اليوم أن روسيا لديها أكبر مجموعة من الكتب العلميـة المترجمة وهناك مجلة واحدة فى روسيا تصدر باسم Refravutivyi Zhurnal تلخص فى كل عدد منها مليون مقال علمى وتكنولوجى من مجلات تصدر فى (١١٧) دولة ولإنجاز هذا العمل فهناك مائة ألف مترجم)[١].

وإن كنا نختلف عنهم بأن الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق بها . والاستفادة من الأمم الأخرى أمر طيب .

ولكنى أقول لابد من تعزيز مكانة التعليم فى بلادنا وجعله أمرا مستقلا بذاته ينبع من فهم للاسلام وإدراك لتعاليمه فالتعليم قائم على الإيمان بشرف العلم وفضل العلماء وشرف الانتساب إليه .

ويختلف عن الأصول التى يقوم عليها التعليم الغربى .

فعند أخذنا للعلوم والمعارف المختلفة يجب أن نصوغها صياغة خاصة تتلاءم مع عقيدتنا ومبادئنا ولا نأخذها على أنها أمر مسلم

---

(١) من مقال لى بعنوان أهمية الناحية الفكرية فى حياة الأمـة ، نشر فى مجلة كلية العلوم الشهرية (المعرقة) ربيع الثانى العدد الثالث السنة السادسة ص ١٦ .

به وأنها قضايا نهائية خاصة فى مجال العلوم النظرية كعلم النفس والأدب وعلم الاجتماع وغيرها(١) .

وقبل ذلك فلابد أن نعرف أن عملية التعليم ليست وقتية إنما هى تصل الماضى بالحاضر بالمستقبل .

وتصل عقيدتنا بالواقع الذى نعيشه .

ومن هنا نخلص إلى أن استمداد ورد مسألة التعليم والتربية إلى العقيدة الإسلامية أمر ضرورى فى البلاد الإسلامية .

ولقد عقد سيد قطب رحمه الله فى كتابه معالم فى الطريق فصلا فى ذلك أسماه (التصور الإسلامى والثقافة) يقول رحمه الله :

(إن الإسلام يتسامح فى أن يتلقى المسلم عن غير المسلم أو عن غير التقى من المسلمين فى علم الكيمياء البحتة أو الطبيعية أو الفلك أو الطب أو الصناعة أو الزراعة أو الأعمال الإدارية والكتابية وأمثالها وذلك فى الحالات التى لا يجد فيها مسلما فقيها يأخذ عنه فى هذا كله . كما هو واقع من يسمون أنفسهم المسلمين اليوم الناشىء من بعدهم عن دينهم ومنهجهم وعن التصور الإسلامى لمقتضيات الخلافة فى الأرض - بإذن الله - وما يلزم لهذه الخلافة من هذه العلوم والخبرات والمهارات المختلفة. ولكنه لا يتسامح فى أن يتلقى

---

(١) أوضحت ذلك بتوسع فى الفصول القادمة .

أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ولا تفسير قرآنه وحديثه وسيرة نبيه ولا مناهج تاريخه وتفسير نشاطه . ولا مذهب مجتمعه ولا نظام حكمه ولا منهج سياسته ولا موحيات فنـــه وأدبه وتعبيره . . إلخ من مصادر غير إسلامية ولا يتلقى عن غير مسلم تقي يثق فى دينه وتقواه فى شيء من هذا كله) [1] .

(١) ص ١٧٦ معالم فى الطريق دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع .

مكانة التربية فى الإسلام

إن التربية والتعليم يسيران سيرا حثيثا فى تاريخ الدولة الإسلامية فلقد كان رسول الله ﷺ قدوة للمسلمين كما قال تعالى:

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) [1].

فلقد كان يعلمهم ويرشدهم وهم يتبعون خطاه ويسيرون على منهجه ويكفينا الاطلاع على كتاب (زاد المعاد فى هدى خير العباد) لابن القيم الجوزية فنرى كيف حفظ ذلك الجيل خطوات رسول الله وطريقة حياته فى مشيه ومأكله ومشربه وقضائه حاجته. كل ذلك حفظوه بقصد تطبيقه واقتفاء أثره.

ولما توفى رسول الله كان التابعون يسيرون على خطى الصحابة وهكذا فى كل عصر نرى طلبة العلم يحاكون مشايخهم ومعلميهم (ولو استقرأنا التاريخ الإسلامى ليرينا نماذج فذة فى التربية وأساليبها

---

(١) آية ٢١ سورة الأحزاب قال عنها ابن كثير فى تفسيره ص٣/٤٧٤ الآية أصل كبير فى التأسى برسول الله فى أقواله وأفعاله وأحواله.

طبقها رسول الله وخلفاؤه من بعده يدل على ما كان يتمتع به المجتمع من فهم عميق وإدراك واسع لمعنى التربية والتعليم (والقرآن هو الذى قام فعلا بدور التربية وله فيها منهج فريد يربى بآياته متى صادف الفطرة السليمة والقلب الذكى والعقل الواعى والقدوة الحسنة) (١) والتربية ترتبط بجميع ما حول الإنسان فى بيئته ومحيطه من منزل ومدرسة وشارع وهى كذلك ترتبط بجوانب الإنسان نفسه وهى المحاولة التى تستهدف بناء الإنسان نفسه منذ اللحظات الأولى لوجوده.

وكما يقول سير برسى نن Sir percy Neinn أن التربية هى الجهد الذى يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها. إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ.

تلك القوى الروحية التى تتصل بنظرية الحياة. وتربى التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتسديدها إلى الأمام) (٢)

وتعاليم الإسلام فى الحقيقة تشمل تربية جوانب الإنسان المختلفة الجانب الروحى ــ الجانب الجسمى ــ الجانب العقلى.

---

(١) منهج القرآن فى التربية لمحمد شديد ص ١١.
(٢) كتاب التربية الحرة لأبى الحسن الندوى ص ٧٥.

أولا : فى الجانب الروحى :

(طريقة الإسلام فى تربية الروح هى أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله فى كل لحظة وكل عمل وكل فكرة وكل شعور)[1] .

ووسائل عقد هذه الصلة الدائمة تأتى من نواحى مختلفة فهو من ناحية (يثير حساسية القلب بيد الله المبدعة فى صفحة الكون لتحس دائما بوجود الله وقدرته المطلقة التى ليست لها حدود .

ومن ناحية يثير حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه فهو مع الإنسان أينما كان وهو مطلع على فؤاده عالم بكل أسراره وبما أخفى من الأسرار .

ومن ناحية يثير فى القلب وجدان التقوى والخشية الدائمة من الله ومراقبته فى كل عمل وكل فكرة وكل شعور .

ومن ناحية يبعث فيه الطمأنينة إلى الله فى السراء والضراء وتقبل قدره بالتسليم والرضا .

والهدف فى النهاية واحد .. هو وصل القلب البشرى بالله)[2] ونتساءل نحن من هو الذى يغرس هذه الوسائل فى النفس ويحييها

---

(١) منهج التربية الاسلامية ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٠ .

إلى الإنسان . أليس المعلم .. بلى إنه المعلم فى المدرسة .. والوالد فى البيت والصديق فى خارج البيت .

والوالد والصديق إنما هما معلمان فى الدرجة الأولى .

والنواحى السابقة تتداخل لتغرس هذه فى نفس الكائن البشرى والجانب العقلى والجانب الجسمى لا شك أنهما يرتبطان ويرتكزان على التربية الروحية .

الجانب العقلى :

(إن الإسلام يبدأ بالتربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلى فيصون الطاقة العقلية من أن تتبدد وراء الغيبيات التى لا سبيل للعقل البشرى أن يحكم فيها)[1] ولصون هذه الطاقة العقلية يتخذ الإسلام وسيلتين :

١ — وضع المنهج الصحيح للنظر العقلى .

٢ — تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيه من دقة وارتباط[2]

وبقراءة القرآن الكريم أو تدبر الأحاديث النبوية نجد التوجيهات والتعليمات تكون دائماً على مستوى العقل البشرى لا دونه ولا فوقه .

---

(١) المصدر السابق ص ٩١

(٢) المصدر السابق ص ٩٢

كما نجد أن هذه التعليمات والتوجيهات مقرونة بالأمر بالتدبر والنظر فيها . ويكفى أن نضرب مثالا لذلك كما قال تعالى (إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب[1]) . وقوله تعالى (لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون[2]) .

وقوله تعالى (قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين)[3] .

وقوله تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون)[4] .

أما الجانب الجسمى :

فبالجسم يستطيع الإنسان أن يؤدى دوره ككائن حى خلقه الله فى الأرض . هذا الدور هو القيام بأمر الخلافة . وتحكيم شرع الله فى جوانب الحياة المختلفة .

---

(١) آل عمران آية ١٩٠
(٢) المائدة آية ١٠٠
(٣) الأنعام آية ١١
(٤) يوسف آية ١٠٩

فإذا كان الجسم عليلا أو ضعيفاً فأنى له أن يقوم بمهمته أو يؤدى دوره .

ولذا نجد التوصيات للعناية بالجسم فى القرآن والسنة . قوله تعالى (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)[1]

وقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق)[2] ويكفى أن نجد هذا الأثر فى المجتمع الأولى فعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذله فقال ما شأنك قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له كل فإنى صائم قال ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل . فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له نم فنام ثم ذهب يقوم فقال ، نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان قم الآن فصليا جميعاً فقال سلمان (إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبى صلى الله عليه وسلم (صدق سلمان)[3] .

ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديث حاثا على العمل (ما أكل

---

(١) الاعراف آية ٣٢ (٢) القصص آية ٧٧

(٣) رواه البخارى ص ٨٠ رياض الصالحين .

أحد طعاماً قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده)[1] (والجسم لا يكلف الإنسان لكى يبقى سليما إلا أشياء بسيطة قليلة أكثرها مرتبط بالغذاء والراحة والرياضة والنظام الصحيح المعتدل فى المعيشة[2] .

وهكذا تتكامل جوانب التربية فى حياة الإنسان فينشأ إنساناً متوازناً متناسقاً متكاملا لا يطغى فيه جانب على جانب .

وبهذا التكامل تتسم حضارة الإسلام وتميز دولته لا كما عمل اليونان الذين ضخموا الجانب العقلى فنرى طغيان هذا الجانب فى مباحثها حيث أطلقت العقل ليفكر فى الحجب الغيبية فى أبحاث ما وراء الطبيعة فى الفلسفة وعلم النفس والمنطق وتعمقت فى البحث عن أصل هذا الكون ونشأته . .)[3] .

ولا كما عملت الحضارة الغربية التى ضخمت الجانب الجسمى . أى الجانب المادى فى الإنسان (فأقامت فلسفتها على الحياة المادية واعتمدت فى ذلك على المنطق التجريبى فأدت إلى ترف أطفأ جذوة الروح الانسانية ووأد فضائلها وأتى على بنيان القيم الأخلاقية

---

(١) رواه البخارى عن حديث المقداد بن عمرو يكرب رضى الله عنه . رياض الصالحين ص ٢٥٨ .

(٢) كتاب التربية البدنية فى الإسلام ص ٣١ لمحمد خير الدرع .

(٣) كتاب مزايا الثقافة الاسلامية ص ١٢ .

فتحولت هذه الحضارة إلى أداة تدمير تبطش بالمستضعفين وتهدد العمران البشرى بالزوال)[1] .

وطغيان الجانب الروحى يتمثل ذلك بالرهبانية التى ابتدعتها الكنيسة وكانت (شرا على الانسانية والمدنية من بهيمية رومة الوثنية وقد جن جنون هذه الرهبانية فى العالم النصرانى وتخطى حدود القياس)[2] .

وهذا التضخم هو الذى أدى إلى فشل الأنظمة كلها سوى الاسلام أن تقيم مجتمعاً مثالياً تصبو إليه الانسانية والإسلام حين يمثل ويطبق فى مجالات الحياة المختلفة .

وفى مجال التربية والتعليم على وجه الخصوص عندئذ ينشأ ما نتمناه لهذا الجيل القادم .

أما إذا تركنا الجيل القادم يستقبل ما عند الحضارات الأخرى فإننا ندفعه إلى الهاوية .

---

(١) كتاب مزايا الثقافة الاسلامية ص ١٥ لمناع القطان .
(٢) كتاب ماذا خسر العالم ص ١٨٤ .

التربية والتعليم فى القرون الماضية

من الفهم العميق لأهمية العلم والتعليم الذى استنتجه المسلمون من مقومات دينهم ومبادىء عقيدتهم . وكانت الدولة الاسلامية فى أول نشأتها حريصة عليه فأصبحت القرون الثلاثة الأولى أزهى عصور الدولة الاسلامية فى مجال العلم والتعليم . ولقد (نشطت الحركة العلمية فى القرن الثانى لأن القرن الأول كان عصر فتح وتوسع ولما استقر المسلمون ودانت الأمم للاسلام ظهرت حركة البحث العلمى والتصنيف فى الحجاز والعراق والشام ومصر) (١) .

وكان أول ما اتجه إليه اهتمام المسلمين هى علوم القرآن والحديث ثم استنتج الفقه منهما فظهر الأئمة الكبار فى الحديث أمثال البخارى وإسحاق بن راهويه ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم .

وظهر الأئمة الكبار فى الفقه مثل أبو حنيفة والشافعى ومالك وغيرهم ومن ثم نقلت الكتب اليونانية والاغريقية وترجمت إلى اللغة العربية وأشرف الحكام فى ذلك الوقت على هذه الترجمة .

---

(١) كتاب الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٢٩ محمد الحسينى .

فظهر نوابغ فى مجال هذه العلوم صححوا كثيرا من النظريات واستنتجوا نظريات أخرى وكتبوا فى مجالات مختلفة مثل ابن الهيثم والرازى والبيرونى وغيرهم .. وكان هؤلاء وأولئك يدفعهم الاسلام إلى العلم وتحثهم طاعة الله وتقواه فكثرت رحلاتهم وأسفارهم وجلوسهم إلى العلماء .

وأطلق على العلوم الأولى العلوم النقلية أما العلوم الثانية فسميت بالعلوم العقلية ولكل منها منهج خاص فى البحث والتأليف .

(فأما منهج البحث والتأليف فى العلوم النقلية فيعتمد على الرواية وتتبع الرواة للتحقق من صدقهم ومراجعة النص فى الكتاب والسنة . وأما العلوم العقلية كالكيمياء والطب فتعتمد على التجربة العملية والتدقيق المنطقى والفحص العملى هو الذى يحكم على الأشياء إن كانت خطأ أو صوابا) (١) .

وأين كانوا هؤلاء الأعلام من العلماء يتدارسون ويتناقشون ؟

لقد كانت معاهد العلم فى الدولة الاسلامية هى المساجد فالمسجد هو عصب الحياة فى ذلك الوقت وهذه المكانة التى حظيت به المساجد يدفعنا إلى دراستها وبالتالى إلى كيفية نظام التعليم المعطى فيها .

---

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ حين وصوله إلى المدينة هو بناء المسجد ولم يكن هـذا التصرف منه ﷺ عبثا . إنما كان إشارة إلى أن المسجد أحد دعائم حياة المسلم .

وليكون منطلق التعليمات والتوجيهات إلى هـذا المجتمع الجديد .

وفى المساجد يقوم المسلم بتأدية فرائض الله عليـه فيشعر أنه واحد من أعضاء المجتمع غير منفصل عنه .

ويركز ابن تيمية رحمه الله على هذا المعنى بقوله : (وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هى المساجد فإن النبى ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى ففيـــه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب ومنه السياسية وعقـد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم وكـذلك عماله ﷺ فى مثل مكة والطائف وبلاد اليمن وغير ذلك من الأمصار والقرى . وكـذلك عماله على البوادى فإن لهم مجمعا فيه يصلون وفيه يساسون كما قال النبى ﷺ (إن بنى إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما ذهب نبى خلفـه نبى وأنه لا نبى بعدى وستكونون خلفاء تعرفون وتنكرون قالوا فما تأمرنا قال: أوفوا

ببيعة الأول فالأول واسألوا الله لكم . فإن الله سائلهم عما استرعاهم)[1] .

فنستنتج من هذا أن من وظائف المسجد التعليم فهو مرتبط ارتباطا وثيقا به خاصة إذا كان التعليم لأمر من أمور الدين وهكذا استمرت الحال فى عهد الخلفاء الراشدين فيذكر السيوطى أن (المتبع أن يبنى مسجد جامع ومساجد صغيرة فى كل بلد يفتحه المسلمون كما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح الله عليه البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة وإلى عمرو بن العاص وهو على مصر)[2] .

ولكن بعد عهد الخلفاء الراشدين فإن وظائف المسجد بدأت تتقلص فقد قلت أهمية المسجد من الناحيـــة السياسية وذلك لأن (الحكام والولاة اتخذوا لهم أمكنة أخرى ودواوين وقصورا يمارسون فيها أعمالهم بعيدا عن المسجد واتسعت وظيفة المسجد فى

---

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى ٣٩/٣٥ نقلا عن كتاب المسجد وأثره فى المجتمع الاسلامى ص ٣٤ .

(٢) السيوطى حسن المحاضرة ١٤٩/٢٠ نقلا عن كتاب المسجد ص ٣٧ علماً أن السيوطى توفى فى ٩١١ هـ .

جانب آخر هو التعليم فأصبحت مساجد كثيرة مدارس للتعليم بل لم يقتصر التعليم فيها على العلوم المتصلة بأمور الدين كما كان عليه الحال فى أيام الرسول وأيام الخلفاء الراشدين وإنما اتسعت دائرة العلوم التى تدرس فى المسجد حتى تناولت كل المعارف الإنسانية تقريبا يقول السيوطى :

(إن دروسا مختلفة رتبت فى الجامع الطولونى وقد شملت التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة والقراءة والطب والميقات .

بل اتسعت دائرة العلوم التى تدرس فى المسجد إلى أن شملت علم الشعر عروضه وقوافيه) (١) .

هذا عن أهمية المسجد فكيف كان نظام التعليم فى تلك المساجد لقد كانت المساجد فى ذلك الوقت تكتظ بالحلقات العلمية فى كل فن من فنون العلم حيث تعقد بها حلقات فى الفقه وثانية فى اللغة وثالثة فى النحو ورابعة للحديث والمتعلم أن ينضم إلى أى حلقة وله أن يختار أى أستاذ يشاء .

وبعد أن يجد فى نفسه المقدرة والكفاءة العلمية يجلس مجلس

---

(١) المسجد ص ٣٨ / ٣٩

المعلم ليناقشه العلماء فإن أثبت جدارة ومقدرة استحق لقب المعلم وله بعد ذلك أن يرأس إحدى الحلقات العلمية) (١) .

ولم يقتصر العلماء على مدينة أو ولاية من ولايات الاسلام أو دولة من دوله بل كانوا يرحلون للعلم ليستمعوا إلى العلماء الآخرين الذين سار بذكرهم الركبان من أنهم فحول لهذا الشأن .

ولا داعى لنضرب أمثلة على رحلات العلماء فيكفى قراءة سيرة أحدهم تجدكم من بلد سافر إليه وكم من شيخ التقى به (٢) .

ولم تكن الشهادات العلمية معروفة فكان الطالب يسعى لطلب العلم إذا أتيحت له فرصة من فراغ أما إذا أراد أن يحترف مهنة التدريس فكان واجباً عليه أن يواظب على حضور حلقات الدرس حتى يثق بكفاءته العلمية التى تؤهله للجلوس فى مهنة العلم وكثيرا ما كان الكثيرون يترددون فلا يجرؤون على الجلوس فى هذا المكان لكثرة الأسئلة التى يوجهها لهم الطلاب وبخاصة الأساتذة الجدد بقصد إحراجهم .

أما إذا استطاع أن يفوز ولا يضعف أمام النقاش ووفق إلى

---

(١) كتاب الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٣٧ .

(٢) يمكن الاطلاع على كتاب صفحات من صبر العلماء على تحصيل العلم للاستاذ عبد الفتاح أبو غدة .

الاجابة وإقناع الموجودين فى حلقة الدرس بمقدرته عندذلك يستطيع ممارسة مهنة التدريس [1] .

وقد روى أن أبا حنيفة النعمان كان يجلس فى حلقة حماد بن سليمان وقد أحس بأن فى مقدرته أن يستقل ويكون لنفسه حلقة خاصة يعلم فيها .

لكنه حين ترأس الحلقة ووجه إليه سؤال عجز عن الإجابة عليه عاد بعدها إلى حلقة أستاذه مرة ثانية [2] .

وهكذا كان نظام التعليم والتربية فى خلال القرون الماضية واستمرت الحال كما هى عليه حتى ظهرت المكتبات فى العالم الإسلامى وما تبعها من ظهور المدارس التعليمية ولكن لا زال المسجد هو المرجع الأساسى حتى تغلبت الإفرنج على بلاد المسلمين .

---

(١) فكرة النقاش لإعطاء درجة علمية ما ضرورية وهذا هو المتبع فى الحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه فى العصر الحالى .

وأعتقد أن النقاش الموجه إلى الأستاذ فى العصر القديم أصعب بكثير مما هو عليه الآن، لأنه الآن لا يناقش إلا فى فرع بسيط من تخصصه بعكس ما كان سابقاً .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩ .

أسباب تقدم التعليم

تمر قضية التربية والتعليم فى الأمم المختلفة بحالات هبوط وارتفاع على مستوى الكم والكيف . وهذا بالطبع راجع إلى أسباب مختلفة سوف نوجزها فى الصفحات القادمة ومنها نستنتج توقعاتنا لمستوى التعليم فى القرن الخامس عشر فى بلادنا الإسلامية.

أولا : الاستقرار السياسى :

هدوء الأوضاع السياسية وعدم تقلبها له دور مهم فى تقدم التعليم وزيادة عدد المتعلمين كما أن له دور على التربية واستقامة خطها .

فالقرن الأول الهجرى كان عصر فتح وتوسع وبالتالى فقد كانت عجلة التعليم تدب دبيبا وتحبو حبوا . وما أن استقر المسلمون وتوقف الفتح حتى انتشر التعليم وتقدم خطوات إلى الأمام وأصبحت القرون الثانى والثالث والرابع من أزهى عصور الدولة فى حركة التعليم والتأليف .

وفى خلال الهجوم الصليبى البغيض على ديار الإسلام وما تلاه

من مناوشات دفعت العلماء إلى دخول المعارك فتوقف التعليم قليلا .

وفى الأندلس نبغ كثير من العلماء أمثال ابن رشد وابن بشكوال والزهراوى وابن الخطيب وابن حزم وغيرهم لما كان الحكام يشجعون العلماء . وما أن ظهرت دول الطوائف وبدأ النزاع بينها إلا وقد أثر هذا النزاع على مسار التعليم . وفى القرن الرابع عشر والذى قبله عاشت البلاد الإسلامية فترات من التغيرات السياسية والحروب أثرت فى مسار تعليمها تلا ذلك انقسامها إلى بلدان متعددة اختلفت فيها قوة التعليم وحركته .

ففى مصر كان الأزهر يخرج أفواجا من العلماء إلى أنحاء العالم الإسلامى حتى جاءه المجددون [1] فأصبح هزيلا غير قادر على القيام بمهامه من حفظ للتراث وتخريج للعلماء .

وكان بالإمكان تلافى ماحدث لو أن الحكام لم يتدخلوا فى شئون الأزهر ويعرقلوا مساره التعليمى .

ولبنان ذلك البلد الذى كان منتدى للأدباء ويخرج كل عام

---

(١) أعنى بالمجددين أولئك الذين درسوا فى الغرب وأرادوا من الأزهر أن ينفصل عن رسالته السامية ويسير فى ركب الجامعات التى تأخذ بنظام التعليم الغربى .

آلاف الجامعيين تعرقل التعليم بل تأخر كثيراً بسبب الحرب الطائفية الدائرة على أرضه .

وفى المملكة العربية السعودية ذلك البلد الذى استقرت أحواله السياسية منذ سنة ١٣٥١ﻫ وحتى الآن نرى التعليم يسير سيرا سليما وإلى الأمام ففى عشرين سنة تم افتتاح ست جامعات وهو عدد ضخم إذا قيس لعدد السكان وامتداد الرقعة . ومن هنا نستنتج إن للهدوء السياسى أثر واضح على تقدم التعليم .

ثانيا : الرخاء الاقتصادى :

هناك قول متداول بين المتعلمين أنه من يريد المال فليبتعد عن العلم . فإن العلماء هم أفقر الناس . وأعتقد أن هذه مزية للعلماء فإنهم أغنياء بما عندهم من علم وأغنياء بما لديهم من وعى .

وقد يكون الفقر فى بلد ما دافعا إلى طلب العلم والسعى فيه وقد يكون الغنى مانعا من طلبه لأنه انشغل بماله عن التعليم .

خاصة إذا كان الحصول على المال غير مرتبط بدرجة من درجات التعليم كما هى الحال فى بلادنا الاسلامية .

ولكن على كل حال فإن الرخاء الاقتصادى عامل من عوامل تقدم التعليم وذلك لأن الرخاء يعطى الإنسان نوعا من الاستقرار

النفسى وكذلك يعطى الدولة القدرة على افتتاح المدارس والتوسع الكمى فى التعليم .

ثالثا : الاستقرار الاجتماعى :

لو تتبع أحدنا سيرة أحد العلماء فإنه يلاحظ أن أسرة هذا العالم قد خرج منها علماء قبله وأقرب مثال على ذلك هى أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فان أجداده علماء وكذلك أبناؤه وأحفاده حتى الآن . منهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله إمام وخطيب الجامع الكبير .

والشيخ حسن وزير التعليم العالى وكذلك أسرة الحسينى فى الشام منهم محمد أمين الحسينى وغيرهم رحمهم الله .

بمعنى أن الأسرة قد تكون دافعة أبناءها إلى التعليم والنبوغ فيه .

والمجتمع الذى يقل فيه الارتباط الاجتماعى يتراجع فيه التعليم . ذلك أن عملية التعليم تحتاج إلى مساعدة الأسرة ومؤازرتها كما تحتاج إلى حسن توجيه المعلم .

ولكى تبقى مؤازرة الأسرة عاملا مهما فى تقدم التعليم .

وقد يضاف إلى العوامل الثلاثة أشياء ثانوية منها احترام الناس للمتعلم وتقديرهم له فذلك يكون قدوة للآخرين .

وكذلك وضعهم فى مناصب توافق تخصصاتهم ومساعدة الطلاب فى أثناء طلبهم للعلم . وتحبيب الناشئة للعلم .

بمعنى مفاهيم معينة تنبع من نفس المجتمع تقديرا للعلم والمتعلمين كل ذلك سيدفع التعليم خطوات إلى الأمام فى الناحية الكيفية والكمية . ولكن تبقى الأسباب الثلاثة هى الملامح والعلامات لتقدم التعليم فى بلد ما . وسوف نأخذ شاهداً على ذلك . وهو المملكة العربية السعودية .

التعليم فى المملكة

بدأ التعليم الحديث فى البلاد عام ١٣٤٤ .

عام ١٣٤٤ ﻫ أنشأت مديرية المعارف فنشطت حركة التعليم وقام على أسسه الحديثة بحيث افتتحت المدارس والمعاهد .

ولكن التعليم كان يواجه صعوبات منها الوضع الاقتصادى فى البلاد فاتجه الناس إلى البحث عن لقمة العيش .

وأنعم الله على هذه البلاد بتدفق النفط وذلك عام ١٣٥٧ﻫ حيث بدأ الإنتاج الفعلى . ومن ثم بدأت حركة التعليم تتقدم إلى الأمام حتى عام ١٣٧٣ حيث حولت مديرية المعارف إلى وزارة المعارف وأصبحت هذه الوزارة تشرف على التعليم فى البلاد فارتفع عدد الطلاب من ٣٧٨٩ فى عام ١٣٧٧ ﻫ حتى بلغ ٦٦٦,١٣٢ فى عام ١٣٩٩ ﻫ .

أى فى خلال عشرين سنة فقط ارتفع عدد الطلاب إلى مائتى مرة .

أما عدد المدارس فبلغ ٢١ مدرسة فى عام ١٣٧٧ ﻫ . فارتفع إلى ٤٥١١ وارتفعت ميزانية التعليم من ٤٨,٥٩٦,١٥٢ ريال

فى وقت إنشائها ١٣٧٣هـ فبلغت فى عام ١٣٩٩هـ ٧,٥٧٠,٥٠٠,٠٠٠ ريال .

أما فى مجال تعليم البنات فلقد كان مفصولا تماماً عن تعليم الذكور وهذه ميزة واضحة فى التعليم فى المملكة . وأعتقد أنه من الأسباب المباشرة لتطور التعليم فقد افتتحت رئاسة خاصة به فى عام ١٣٨٠

وبلغ عـدد الطالبات فى عام ١٣٨٠هـ ١١٧٥٧ طالبة حتى وصل إلى ٢٣٩,٤٣٦ فى عام ١٣٩٧هـ . أى فى خلال ١٧ سنة ارتفع إلى ثلاثين ضعفاً .

كما ارتفع عدد المدارس الخاصة بالبنات فى عام ١٣٨٠هـ . ٥١ مدرسة إلى أن وصل فى عام ١٣٩٧ إلى ٢٠٤٢ مدرسة .

وهذا خلال التعليم الجامعى الذى بدأ بافتتاح جامعة الرياض ١٣٧٧ وقبلها كلية الشريعة واللغة عام ١٣٧٤ .

فلقد بدأ عدد الطلاب فى جامعة الرياض عام ١٣٧٧ — ٢١ طالبا وكلية واحدة حتى وصل إلى ١٠٩٧٢ طالبا فى عام ١٣٩٨ وبلغ عدد كلياتها ١٢ كلية .

وعدد الجامعات في المملكة ست جامعات هي :

١ ـ جامعة الرياض بالرياض ١٩٥٧ .

٢ ـ جامعة البترول والمعادن بالشرقية ١٩٧٤

٣ ـ الجامعة الإسلامية ١٩٦١

٤ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٧٤

٥ ـ جامعة الملك عبد العزيز ١٩٧٢ .

٦ ـ جامعة الملك فيصل ١٩٧٧ .

بالإضافة إلى الأمانة العامة لكليات البنات والتي سوف تتحول إلى جامعة البنات إن شاء الله هذا بالإضافة إلى البعثات الخارجية .

وهذا التطور الهائل فى مسار التعليم فى المملكة من الناحية الكمية . لم يكن ليتم لولا الاستقرار السياسى الموجود والذى تم منذ سنة ١٣٥١ هـ .

المراجع : الأرقام القديمة من كتاب معجزة فوق الرمال لأحمد عسه ص ٤٤٨ والأرقام الجديدة من منشور بعنوان خلاصات إحصائية أولية عن التعليم في المملكة . توزعه وزارة المعارف .

منشور سنة١٣٩٩ ومنشور سنة ١٣٩٧ .

وبالنسبة للارقام الجامعية فمن دليل الخريجين الذى توزعة جامعة الرياض للعام الدراسى ٩٧/١٣٩٨ هـ .

ولولا الرخاء الاقتصادى والذى بدأ منذ تفجر النفط فى المنطقة الشرقية عام ١٣٥٧ وقبل ذلك كان للأسرة السعودية الدور الأكبر فى دفع أبنائها إلى التعليم وتشجيعها له فكل أسرة الآن تحرص على أن يكون من بينها طبيب أو مهندس أو مدرس ونحن نتمنى أن يستمر هذا التطور الكمى كما نود أن يرافقه تطور كيفى فى المناهج وطرق التدريس وإعداد المعلمين .

الواقع التعليمى والتربوى
فى القرن الرابع عشر

كان نتيجة دخول الافرنج بلاد المسلمين بعد سقوط معاقل العباسيين فى بغداد والأمويين فى غرناطة وأخيراً سقوط الخلافة الإسلامية فى تركيا .

والضربات الصليبية العسكرية المتكررة وما تلى ذلك من تقدم هائل فى البلاد الأوروبية خلال القرنين الماضيين .

كل ذلك كان له أبلغ الأثر على مسار التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية فبعد أن كانت بلاد المسلمين فى القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر الميلادى مضرب المثل فى التقدم العلمى والفكرى .

نرى أبناءه فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر يسعون إلى بلاد الافرنج للأخذ من علومهم والدراسة فى بلادهم .

(وبينما كانت أوربا تنطلق نحو التقدم ظل المسلمون مصابون

بالركود . لقد كان النصارى[1] فى عصر من العصور يدرسون علم الكلام المسيحى على يد علماء مسلمين . كان كمال الدين بن يونس فى الموصل وعز الدين الأربلى فى دمشق على سبيل المثال من كبار علماء المسيحية فى القرن السابع الهجرى وكان المسيحيون يتتلمذون عليهم لدراسة علوم ديانتهم فقد كانا يدرسان علوم التوراة والإنجيل بطريقة أفضل من العلماء المسيحيين المعاصرين لهما . أما فى عصر الانحطاط فقد اضطر أحد المصريين فى عهد الأتراك إلى تعيين راهب مسيحى لكى يتولى تعليم ابنه)[2] .

وقد حدث هذا التحول الرهيب المخطط المرسوم للسيطرة على بلاد المسلمين فإنهم قد اقتنعوا تماماً بأن المخطط العسكرى غير مجد وغير نافع وانه قد يضرهم فلذا أخذوا يضعون المخطط الفكرى تمثل ذلك فى المدارس الثقافية والمعاهد والدراسات الاستكشافية والصحف والمجلات كما تمثل فى إقامة المستشفيات الصحية وملاجىء العلاج . وتمثل واضحاً بنشر الأفكار القومية والعلمانية وزرع النعرات العصبية .

---

(١) أفضل فى كتاباتى أن أذكر نصارى ونصرانية بدل مسيحيين ومسيحية وذلك لأن اللفظ الأول هو الوارد فى القرآن الكريم .

(٢) المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ص ١٣ .

كل ذلك بقصد السيطرة على بلاد المسلمين وزعزعة الإيمان في قلوبهم وسوف نعرض بعض الأفكار التي انتشرت في خلال هذا القرن معتبرين تلك الأفكار سمة غير طيبة وصفة غير محمودة في واقعنا التربوي والتعليمي راجين من الله أن يغير الحال إلى أحسن .

ومن هذه الأفكار التي انتشرت في مجال التربية والتعليم والتي ولدت ازدواجية التعليم في البلاد الإسلامية .

أولا : فصل الدين عن العلم :

ولقد قام رجال الاستشراق والاستغراب بمدارسهم ومعاهدهم بنشر هذه الفكرة فهناك تعليم مدني وتعليم ديني . فإذا كان الطالب يريد أن يدرس الهندسة أو الطب أو الكيمياء أو الفيزياء . فمعنى هذا أن عليه أن يتخلى عن عقيدته وألا يهتم لمبادىء دينه وأن عليه ألا يطلع على غير مجال تخصصه وكذلك الطالب الذي يريد دراسة الفقه أو الحديث أو التاريخ فليس على أن يطلع أو يقرأ في أي مجال غير مجال تخصصه .

ومن هذا فلقد حدثت عزلة رهيبة بين مجالات التعليم الشرعي ومجالات التعليم الأخرى فرأينا شبابنا يخرجوا أطباء ومهندسين وكيمائيين لا يعرفون من الدين إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه

كما أصبح لدينا أجيالا تتنكر لدينها . وتبتعد عن مبادئها بحجة أن هذا فى غير مجال تخصصها .

وهذا الفصل الرهيب بين الدين والعلم إنما هو فكرة غريبة الوجهة غريبة عن مجتمعنا وبيئتنا .

فالإسلام دين لا يعرف هذا الفصل ولعل ماذكرناه فى الفصل الأول يزيد هذه الفكرة وضوحاً .

ولقد كان سيد قطب رحمه الله كثيراً ما يذكر هذه الفكرة ويؤكد على عدم واقعيتها . فيقول على سبيل المثال فى كتابه المستقبل لهذا الدين بعد أن ذكر الملابسات التى جعلت العلماء الأوربيون يثورون على الدين ومن ثم فإن ما طبق فى أوروبا لا يمكن أن يطبق على العالم الاسلامى يقول رحمه الله (هذا هو الدين الذى حارب العلم وقتل العلماء الذى ثارت عليه أوروبا ثم تابعها فى الثورة الببغاوات والقرود فى الأرض كلها دون تفرقة بين دين ودين هذا هو الدين الذى ثارت عليه أوروبا . الدين الذى شوهت الكنيسة معالمه منذ أول خطوة ثم زيفت خصائصه الربانية . وتصوراته السماوية وقيمه وأسسه ذلك التزييف الشنيع . وهؤلاء هم رجال الدين الذين قدموا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الدين وعلى البشرية المنكودة بقيادة الغرب الموتور من الدين المزيف

ومن رجال الدين المزيفين)[1] .

ثانياً : فكرة التطور والارتقاء :

فكرة من الأفكار التي انتشرت باسم العلم وهي ليست على درجة من العلم لقد وضعها داروين عندما نشر كتابه سنة ١٨٥٩ (أصل الأنواع) .

ولقد لوحظ للأسف أن هذه النظرية دخلت مجالات واسعة من العلوم . وهي تنص على أن الأشياء ترتقي وتتطور والانسان إنما هو حيوان متطور عاش في أطوار مختلفة . ومن ثم نقلت إلى مختلف العلوم فالاقتصاد يتطور والعمارة تتطور والحياة تتطور ثم الأخلاق تتطور والدين أيضاً يتطور ولقد اتجه الانسان إلى الدين في وقت تخلفه وها هو قد تطور فليترك الدين . هذا هو التسلسل الرهيب الذي تصل إليه النظرية سواء من طريق مباشر أو غير مباشر .

ولقد كتب الأستاذ قيس القرطاس كتاباً فقال رحمه الله عن النظرية بعد ذكر آراء المؤيدين وفندها بآراء المعارضين قال : (إنها ليست حقيقة علمية ولا نظرية ولا فرضية وإنما هي

---

(١) سيد قطب المستقبل لهذا الدين ص ٥٣ .

فكرة تأملية وتبين لنا أن المعلومات العلمية فى تغير مستمر حتى بالنسبة لما يسميه العلماء فى زمنهم بالحقائق العلمية . ولقد تابعنا فى هذا الكتاب أدلة أنصار التطور فوجدنا أن أغلب هذه الأدلة والتحليلات مفتعلة حتى وصفت بأنها حكايات لا تعلو قيمتها العلمية عن حكايات المرضعات لأطفالهن . حتى قال (ولاحظنا أن معظم أنصار التطور يفرض النتيجة مقدما حتى أن بعضهم قد اضطر إلى التزوير كما هو واضح فى صور الأجنة وهيا كل الحفريات) .

وعن سبب سعة انتشارها : يقول رحمه الله (أن ما يسمون بأحرار أوروبا رأوها سلاحهم وعونهم للفرار من الكنيسة ومطالبها بل ومحاربتها إذا اقتضى الأمر . وروج لها اليهود فى بروتوكولاتهم[1] لأنها تنسجم مع الخط العريض لمخططاتهم وساندها الماركسيون لأنها تروج التطور وتدعم الديالكتيك .

ورآها الملحدون أعظم نصر لتأييد نظرية التوالد الذاتى واتخذها

---

(١) لقد وجدت ذلك صحيحا فى البروتوكول الثانى يقولون (لا تتصور أن تصريحاتنا كلها جوفاء ولاحظوا أن نجاح دارون Darwin وماركس marx ونيتشه Nietsche قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى غير اليهودى سيكون واضحا لنا بالتأكيد) أنظر بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٢٣ - ١٢٤ ترجمة محمد خليفة التونسى .

أنصار فرويد وسيلة لتدعيم تطور الأخلاق . وأعطى البعض للجريمة تبريرا لحدوثها بواسطتها . ورأى فيها المتحللون والهدامون وسيلتهم للتحلل والهدم) (١) .

وهذا هو فيرشوف وزير التربية والتعليم سنة ١٨٧٧م فى بروسيا يقول :

(إن المذهب الداروينى قد ثبت عدم صحته إلى حد كبير وأن التعليم المدرسى يجب أن يقتصر على الأدلة التى لا تقبل النقض . وقد هلل المحافظون لهذا الرأى . فمن ثم بعث منشور يحرم فيه على المدرسين فى الدولة أن يشيروا إلى المذهب الداروينى تحريما تاماً . وفى اجتماع عام عقد فى ميونخ كانت بروسيا تعد قانونا تعليميا جديدا أكد المجتمعون بأن علم البيولوجيا الذى يفهم على أساس من التطور ليس علما محكما بل علما تاريخيا) (٢) .

ورغم عدم صحتها ومنافاتها للعلم إلا أنها لا تزال تدرس فى بلاد المسلمين على أنها حقيقة علمية لا سبيل لإنكارها ونتمنى أن تطهر جميع الكتب العلمية منها .

ثالثا : الفكرة المادية :

وهى الفكرة الشيوعية التى نادى بها ماركس اليهودى وانجلز

(١) من كتاب نظرية داروين لقيس القرطاس ص ١٩٠ — ١٩١

(٢) ص ٩ العلم للمواطن تأليف لانسلوث هوجن ترجمة د . رمسيس لطفى

وليفنين ونادى بها الكفرة من قبله حيث قالوا كما أخبر عنه الله عز وجل فى كتابه :

(إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا). والتى تقوم على أن حياة الإنسان إنما هى حياة البحث عن الطعام ، وللأسف أن بعض الأساتذة يتلفظ بها أمام أبنائنا الطلاب عن قصد أو عن غير قصد وعن شعور أو عن غير شعور .

فالمدرس الذى يقف أمامه الطلاب ويقول فى أثناء شرحه (هكذا الحياة فلوس) والذى يقول (ولقد عملت الطبيعة كذا وأوجدت الطبيعة) يسمعه التلميذ المسكين الذى يستقبل كل ما جاء من أستاذه فتتحول إلى حقائق يتفوه بها أمام زملائه ولقد سمعت أمثال هذا الكثير فى حياتى الدراسية . فلابد من التنبيه على ذلك ودراسة العلوم على أساس إيمانى بعيد عن التعليلات المادية التى قد تكون ثانوية .

رابعا : إن كل ما جاء عن الغرب صالح وحديث وأن الذى عند المسلمين قديم وعتيق :

هذا الادعاء الكاذب انتشر فى أوساط المتعلمين وغيرهم بسبب انخداعهم ببريق الحضارة الحالية . وأخذ الأدباء ينقلون وبشراهة من الكتب الاستشراقية التى وضعها المستشرقون وأخذوا آراءهم

وأفكارهم فى مجالات مختلفة وخاصة فى مجالات الأدب والتاريخ وعلوم الشرع . وأصبح الأديب المحترم هو الذى يقول قال المستشرق جب أو أرنولد أو شاخت أو غيره . بدلا من أن يقول قال ابن كثير أو الذهبى أو ابن الأثير بل قد يعتبر ذلك نقصا فى مكانته العلمية . والادعاء السابق [1] نشره المستشرقون وأيده المستغربون من تلاميذهم! ولقد فضح أهدافهم وكشف أفكارهم الأستاذ مصطفى السباعى فى كتابه (الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم) وهذه الأهداف هى باختصار [2] :

١ — التشكيك بصحة رسالة الرسول وإنكارهم لنبوته وسماوية القرآن .

٢ — إنكارهم أن يكون الإسلام دينا من عند الله .

٣ — التشكيك فى صحة الحديث النبوى .

٤ — التشكيك فى صحة قيمة الفقه الإسلامى والزعم أنه مستمد من الفقه الرومانى .

٥ — التشكيك فى قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور .

---

(١) إن كل ما جاء عن الغرب صالح وحديث وإن الذى عند المسلمين قديم وعتيق .

(٢) فصل ذلك الأستاذ فى كتابه المذكور ولقد نشر فيما سبق ضمن كتابه (السنة ومكانتها فى التشريع) .

٦ — إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك فى كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا .

٧ — إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين وإحياء القوميات والنعرات العصبية . ولو اقتصر عمل الاستشراق على ذلك لكفى ولكنه يرتبط بالتبشير الذى يرتبط بالاستعمار . فهذا الثالوث الماكر وراء النكبات التى حلت على المسلمين وجعلته عالة على الغرب فى مأكله ومشربه .

إنه يجب علينا الاعتزاز بتراثنا وبتاريخنا وعدم الاعتماد على المصادر الاستشراقية فى تلقى المعلومات .

خامسا : اللغه العربيـة :

من الأفكار التى انتشرت فى أوساط المتعلمين هو (أن اللغة العربية صعبة فلابد من تسهيلها وأن قواعدها معقدة وأن قواعد الإملاء عسيرة وأن الحرف العربى باهظ التكاليف فى الطباعة وأن اللغة العربية قاصرة على مسايرة الحضارة فألفاظها لاتستوعب المخترعات الحديثة فلا تصلح للتعليم الجامعى [1] .

هذه الادعاءات التى يتشدق بها المعلمون أمام طلابهم والطلاب فيما بينهم . ولقد نشر هذه الادعاءات وأيدها دعاة القومية

(١) من كتاب نحو وعى لغوى ص ٧٩

والنعرات العصبية والأدباء النصارى فى ديار الإسلام والقصد منها معروف والهدف واضح وهو قطع الصلة بين هذه الأجيال وهذا التراث الضخم الذى تركته الأجيال الماضية وجعل هذه الأجيال عالة على غيرها حتى فى شئون الثقافة والتعليم .

سادسا : أفكار أخرى :

هناك أفكار تفشت فى وسط المتعلمين وهى ناتجة من عدم فهم للاسلام والثقافة الإسلامية مثال ذلك قضايا المرأة والخوض فيها وقضايا المال والربا وقضايا الحكم وما أثير حوله .

ولقد تولى عدد من المفكرين توضيح موقف الإسلام وحكمه فى كل قضية وردوا على هذه الشبهات بما حباهم الله من حب للحق وبحث عنه .

وأذكر على سبيل المثال كتاب السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى وكتاب المرأة بين الفقه والقانون للدكتور مصطفى السباعى رحمه الله .

ومنها كتاب شبهات حول الاسلام للكاتب الاسلامى محمد قطب .
والإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه والاسلام وأوضاعنا القانونية .

والمال والحكم فى الاسلام للشهيد عبد القادر عوده . وبحث

الدكتور عيسى عبده عن الاقتصاد الإسلامى ، وكتاب حصوننا مهددة من داخلها د . محمد محمد حسين وهـــذه الأفكار لمعارضة الفكرة الإسلامية فى علم الاقتصاد وعلم النفس وعلم الأخلاق وفى خلق العالم ونشأة الكون فى مختلف العلوم كل هذه الأفكار أدت سواء من طريق مباشر أو غير مباشر إلى خلق ما نسميه ازدواجية التعليم .

هذه الإزدواجية التى تولدت من وجود هذه الأفكار فالطالب حينا يسمع شيئا والحين الآخرى يسمع ما يناقضه فنجعله فى مثل هذه الحالة يعيش فى دوامة من الصراع الفكرى تؤدى به إلى إنكار ذاته وبالتالى التنكر لمجتمعه وأمته فيرى أن أمته غير قادرة على تلبية حاجته الفكرية فكيف نريد لأمتنا النهوض وهذه الازدواجية موجودة ؟ كيف نريد تخريج العلماء والمفكرين ونحن الذين زرعنا فيه هذه الازدواجية منذ مراحله الابتدائية إلى أن إنهاء حياته الجامعية .

إننا نريد من الأجيال القادمة أن تبعد هذه الازدواجية وتزيلها فنعيش على فكر واحد ومنهج واضح كما كان الأوائل يعيشون . وإذا أردت الحجة على ذلك فقل لى بربك هذه المجلدات الضخمة ويكفى فى ذلك فمجلدات الحديث (الأمهات الستة) ألفت فى القرن

الثانى فى خلال ١٥٠ إلى عام ٢٨٠ هجرية ونحن منذ عام ١٢٥٠ إلى الآن كم من مجلد أخرجناه أنها لا تزيد على أصابع اليد سوى بعض الكتب الصغيرة فى مواضيع متكررة . رغم تيسير وسائل الطباعة عجزنا عن ترجمة الكتب العلمية وعجزنا عن الإبداع فى التعريب وعجزنا عن خلق الأجيال القادرة على الإلمام بمهمتها .

كل ذلك نتيجة هذه الازدواجية التى نعيش فيها .

الاختلاط :

بالإضافة إلى الأفكار التى توجد فى الحياة التعليمية والتى نشأت عنها الازدواجية كما ذكرنا آنفا . فلقد تميز هذا القرن بميزة أخرى هى الاختلاط والمقصود به هو الخلط بين الجنسين فى مختلف المراحل فى مجال التربية والتعليم ولدعاة الاختلاط تبريرات واسعة وأقوال كثيرة ، ولسنا فى مجال نقض هذه التبريرات ولكن نقول أنه ليس فى مصلحة أمتنا أن يكون عندها الاختلاط فى أى مرحلة من مراحل التعليم المختلفة .

والأمة قادرة على إنشاء مدارس منفصلة مدارس خاصة بالبنين وأخرى خاصة بالبنات وكذلك جامعات بنين وجامعات خاصة للبنات ولعل خطوة المملكة العربية السعودية تكون قدوة لغيرها

من الدول . فلقد أعطت هذه الخطوة نتائج باهرة لن تعطيها لو كان هناك اختلاط .

فلقد تقدم تعليم البنات فى خلال عشر سنوات تقدما ملحوظا. وكذلك تقدم التعليم الجامعى للبنات . وفى جامعة الرياض هناك القاعة التلفزيونية المغلقة التى بواسطتها يمكن لدكتور مخاطبة الطالبات دون اختلاط بهن .

وإذا كان هناك نقص فى عدد المبانى — كما هى حال بعض الدول العربية فيمكن جعلها على فترتين .

والشىء الذى يجب أن نضيفه هو أن ليس بالضرورة أن كل علم يدرسه الذكور تدرسه الإناث . فهناك علوم الهندسة وعلوم الزراعة وعلم الجيولوجيا ليس من مصلحة الإناث أن يدرسنها .

يمكن للمرأة أن تدرس الطب والتمريض وأصول الشريعة والتربية المنزلية وما يوافق أنوثتها ويجعلها قادرة على أن تقوم بدورها العظيم الملقى على عاتقها ألا وهو تربية الأجيال القادمة وبناء النشء الجديد والذى هي أكبر من مهمة الرجال جميعا .

والاختلاط المنتشر للأسف فى بعض الدول العربية غريب على مجتمعاتنا غريب على سلوكنا وهدف هذا الاتجاه (هو جزء من اتجاه أكبر وأهم يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب

الغرب فى شتى شئونها . فى الزواج وفى الطلاق وفى المشاركة فى العمل والإنتاج فى شتى الميادين وفى الزى وفى المحافل والمراقص إلى آخر ما هناك وهذا الاتجاه هو بدوره جزء من اتجاه أكبر يراد به سلخنا من أدب إسلامنا وتشريعه وإلحاقنا بالغرب فى التشريع والأدب وفى سائر فنون الحياة بين جد ولهو) [1] وعن ملابسات الاختلاط وكيف أصبح حقيقة واقعة . فإن الناس كانوا يناقشون الاختلاط هل هو جائز أو غير جائز وهل هو مفيد أو ضار .

وكانت تثيرهم فوضى الجنس التى يروجها القوم فى مطبوعات فرانكلين تحت ستار الدراسات النفسية . فاذا هذا الاختلاط يصبح حقيقة واقعة بطريق ملتو خفى لم يكد يتنبه إليه أحد [2] .

ولقد تأخر مسار التعليم واختلت موازين التربية فى بعض الدول كله بسبب الاختلاط وما جر على البلاد من فوضى وبلاء ونحن نتمنى أن يتنبه رجال التربية والتعليم ويدركوا مضار الاختلاط فنعيش فى مجتمع سليم نظيف .

بين التعريب والتغريب :

تصيبك الدهشة ويأخذك الدوار عندما تتجه إلى مكتبة عامة

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ص ٨٦ للدكتور محمد محمد حسين .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨ .

وتذهب إلى الكتب العلمية فتجد جانبا أو جانبين لبعض الكتب العربية أو على الأصح المترجمة حرفيا .

وتتلفت لترى الجوانب الأخرى مليئة بالكتب من مختلف اللغات فى شتى ميادين العلم وخاصة كتب اللغة الانجليزية .

هذا فى مجال الكتب فقد نجد كتابا وكتابين باللغة العربية أما فى مجال الدوريات المتساسلة فلن تجد ولا صفحة باللغة العربية .

وإن كنا فى هذا القرن نعيش فترة التحول من عصور الاستقلال والتبعية إلى عصر التميز فليس هناك حجة بوجوب جعل التعليم باللغات الأخرى وترك التعليم أو التدريس باللغة العربية .

فقضية التعريب أصبحت قضية مصيرية ومهمة لأجيالنا القادمة ولى محاولة فى هذا المجال حيث سبق لى أن كتبت بحثا عن (فضل اللغة العربية على وحدة الأمة) ومن فصل بعنوان تعريب التعليم قلت :

(إن مشكلة التعليم فى البلاد الاسلامية هى كونه يدرس باللغة الأجنبية وهذا من آثار الاستعمار وبقية التبعية له .

إنه لابد أن يعرب التعليم إذا أريد للعالم العربى الاسلامى [1]

---

(١) أكد كثير على حذف الواو التى يتبجح بها القوميون والمذيعون .

نهضة وتقدم وتطور . صحيح أنه توجد عقبات فى طريق التعريب منها أن معظم الكتب والمراجع باللغة الأجنبية ومنها أن الطلبة الذين يريدون الابتعاث للدراسة فى خارج الدول العربية الاسلامية . ومنها موضوع المستشارين الذين تستقدمهم البلاد ومنها المقاولات والمشاريع التى تريد البلاد إقامتها كل هذه تؤيد الإبقاء على جعل التعليم باللغة الأجنبية لكى يتقن الطلاب هذه اللغة ولكن هناك أمور يجب ألا تغيب عنا وهى :

١ — لا يمنع مع تعريب التعليم أن يكون هناك أناس متقنين لها عارفين بها ولا يمنع التعريب أن تدرس اللغات الأجنبية كمواد أساسية .

٢ — إن اللغة العربية كانت فى يوم من الأيام لغة العلوم ، ولقد أقر الأوروبيون أنفسهم بأنهم قد ترجموا الكتب العربية إلى لغاتهم . فلماذا لا يبدأ العرب بترجمة كتبهم إلى اللغة العربية ؟

٣ — إن إسرائيل تلك الدودة فى وسط ديار المسلمين قد عمدت إلى لغة قد أكل عليها الدهر وشرب وجعلتها لغة للعلوم والمخاطبة وهى اللغة العبرية .

٤ — إن فى اللغة العربية اصطلاحات ومترادفات وإيجاز وبلاغة ليست فى غيرها من اللغات مما يجعلها صالحة للتعليم وخاصة الجامعى .

٥ — إن فى بعض البلاد الغير إسلامية تدرس العلوم بلغة البلاد كالصين وغيرها فهل هناك بدعة إذا قلنا يجب تعريب التعليم ! .

هذه بعض الأسباب التى نرد بها على الذين يطالبون بالإبقاء أن تكون غير العربية هى لغة التعليم فى الجامعات وغيرها .

إن هذا الإبقاء هو إماتة للعرب المسلمين وللمسلمين عموماً وإضعاف لشخصيتهم وإذابة لقوميتهم فى غبار التقدم العلمى والفنى .

إن أى فرد يرضى للغته بالبعد عن الحياة إنما هو فرد يعيش على هامش الحياة كما قال بلنشلى (متى استبدل المرء لغة جديدة غير لغته فقد خسر قوميته) .

فلابد لنا من أن نعيد هذه اللغة إلى مجال الحياة لأننا أدركنا فضلها وعرفنا قيمتها .

فهى عنوان عزتنا وسر نهضتنا . وأى تهوين فى شأنها هو تهوين لديننا وبالتالى إماتة لشخصيتنا والرضا لها بالفناء إن اهتمامنا باللغة لابد أن ينبع من اهتمامنا بالإسلام الذى كتب الله له البقاء والخلود ولقد صدق الأستاذ الرافعى حين قال (أنه لا ينقصنا من اللغة شىء . وهى على ما هى عليه من أحكام الأوضاع والتراكيب والاتساع فى المقررات ولكن ينقص هذه اللغة رجال يعملون

ويحسنون إذا عملوا . ويعرفون كيف يتأتى عملهم إلى إحسان وكيف يكون عملهم عملا)[1] و [2] .

الاعتبار هل هو بالكم أم بالكيف :

ومن واقعنا فى هذا القرن أننا نعتبر تقدم التعليم بعدد المدارس التى افتتحت أو بنيت وعدد الجامعات وعدد الطلاب والطالبات وإعادة طباعة المناهج أو تجديدها . وتخرج فى ذلك الإحصاءات تباعاً .

ولكن هل فكرنا فى كم من خريج استفدنا منه وأفادا أمته بعلمه . كم من خريج كان محافظا على علمه وعمله .

أننا يجب أن نقيس تقدم التعليم بالكيف . كيف حصل هذا الخريج على الشهادة أو المرتبة العلمية .

إن عدد المبانى أو الأجهزة لا ينفع الأمة إذا لم يكن هناك أشخاص قائمين عليها محافظين على وظيفتها .

إننا يجب أن نعيد النظر والتقويم فالاعتبار بالكيف لا بالكم .

---

(١) من كتاب تحت راية القرآن للاستاذ الرافعى رحمه الله ص ٥٦ .

(٢) من بحث بعنوان فضل اللغة العربية على وحدة الأمة فصل بعنوان (تعريب التعليم) أرجو من العلى العظيم أن يرى النور قريباً .

إعادة كتابة التاريخ :

(التاريخ ليس هو الحوادث إنما هو تفسير هذه الحوادث)[1] وتفسيرها هذا يحتاج إلى استعدادات نفسية وملكات بشرية لا تفسر الحقائق التاريخية على هوى شخصى أو نفع مادى كما يفعل الغربيون عندما يتناولون الحوادث التاريخية الإسلامية .

إنهم يعتبرون أوروبا محور دراساتهم وإليها يرجع كل شيء وأصل العلوم الرومان والحروب سببها اقتصادى ومن ثم يحرفون الأصول ويشوهون الحقائق بحجة أنهم يعطون الحقيقة العلمية . وجاء المقلدون من أمتنا فنقلوا ما كتبوه وترجموا ما وضعوه ثم درس لأبنائنا فى المدارس .

ويدعى أولئك المقلدون بأن كتب التاريخ العربية القديمة صعبة القراءة وأنها غير مرتبة ولهم الحق فى ذلك وبالطبع هذا الادعاء لا يبرر دراسة التاريخ من الوجهة الغربية إنما يزيد اللائمة عليهم كيف عجزوا عما قام به الغربيون .

فعلينا اليوم تطهير التاريخ مما علق به وعلينا بإعادة كتابة التاريخ ويجب (أن تكون المصادر العربية هى المرجع الأول

---

(١) من كتاب فى التاريخ فكرة ومنهاج لسيد قطب رحمه الله ص ٣٧

والدراسات الغربية هي المرجع الثاني على أن ينتفع من هذا المرجع بتحرير النصوص وتنسيقها وببعض الموازنات بين شتى الروايات من جهة السند ويجب أن يعيش الباحث بعقله وروحه وحسه في جو الإسلام كعقيدة وفكرة ونظام وفي جو الحياة الإسلامية كقطعة من حياة البشرية الواقعية)[1] .

وإعادة كتابة التاريخ هو وحده الكفيل بأن يكشف الأباطيل التي وضعها الغربيون في كتاباتهم التاريخية ويثبت لنا دور الإسلام الكبير الذي فعله في خدمة الإنسانية وتوجيهها الوجهة الصحيحة ودور الحضارة الغربية الذي أدته في العالم .

فليس من مصلحتنا أن ندرس تاريخنا بوجهة غير وجهتنا ولا برأي منفصل عن هذا الدين ودوره الذي عمله في الحياة البشرية .

دور المتخصصين :

ومن النظرة إلى الواقع التعليمي الحاضر نجـــد أن هناك متخصصون في مجالات مختلفة من العلوم والمعارف ولكن بعد أن ينهوا دراساتهم الجامعية أو العليا نجدهم يتوجهون إلى أعمال غير مرتبطة بتخصصهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤

وهذا يدفعهم إلى الركود وعدم الإبداع أو إلى الهجرة إلى البلاد الغربية التى يجدون فيها ما يوافق تخصصهم وميولهم[1]. فيبقى العالم الإسلامى به بعض الأشخاص الذين أطفىء فيهم روح التجديد وأصبحوا كغيرهم من عامة الناس .

والذى نلاحظه أن معظم العلماء فى أمريكا وألمانيا أصلهم عربى أو بعضهم عربى الاسم والمسمى وقبل ذلك فهم مسلمون . وجدوا الابتعاد عن البلاد العربية الإسلامية خيراً لهم لأنهم متأكدون بأنهم سوف يبدعون وينتجون .

والذى نريده أن هؤلاء العلماء يستقطبون إلى بلاد المسلمين وتوجد لهم التخصصات التى تناسبهم . فعلى أكتافهم تنهض البلاد وعلى سواعدهم يقوم الصرح العلمى الذى نأمله .

دور وسائل الإعلام :

ومدرسى الإعلام يطلقون عليها وسائل الاتصال فيقولون إن العملية الاتصالية تتم بين مرسل ومستقبل بواسطة وسيلة اتصالية

(١) وقع فى يدى كتاب الغزو الفكرى لعبد الله عبد الجبار بعد كتابة هذه النصوص فوجدت الأعداد الهائلة من أبناء أمتنا الذين يعملون فى الخارج . أنها هجرة العقول التى يعيشها التعليم فى البلاد الإسلامية .

تنقل هذا الاتصال ومن ثم يكون رجع الصدى فهى عملية متحركة دائبة .

والوسيلة هذه إما مذياع أو تليفزيون أو سينما أو صحيفة أو مجلة . ويعتبرون التعليم أسلوباً من أساليب الاتصال (فلا شك أن التعليم يساعد على تنمية الفكر وتقوية ملكة النقد وتربية الشخصية الإنسانية ويخضع التعليم أحياناً للدعاية خاصة بعض المواد مثل التاريخ والجغرافيا والمجتمع)[1] ووظيفة التعليم (تنمية المهارات واستمرار التراث العلمى والأدبى والدينى والفنى بتقديمه إلى الأجيال القادمة)[2] .

ويقول (والتعليم وجه من وجوه الاتصال الجماهيرى ليس لأنه لقاء بين مدرس ومجموعة من الطلاب ولكن لأن التعليم فى الآونة الأخيرة أخذ شكلا جماهيرياً كما يتمثل ذلك فى الجامعات المفتوحة وبرامج محو الأمية وبرامج تعليم اللغات وبرامج تعليم الصغار فى الإذاعة والتلفاز إلى جانب تبسيط المناهج فى الصحف والمجلات وكذلك الدوائر التلفزيونية المغلقة قد دخلت فى مجال تعليم الطالبات فى الجامعة)[3] .

---

(١) من مذكرة مطبوعة ص ٢٤ للاستاذ فائق فهيم

(٢) من مذكرة مطبوعة ص ٢٥ للاستاذ فائق فهيم .

(٣) من إملاء الأستاذ/ فائق فهيم فى أثناء محاضراته فى مدرجات كلية العلوم .

وبالإضافة إلى ذلك يقول الأستاذ فائق فهيم (لقد أصبح التليفزيون مصدراً لثقافة كثيفة الكم سهلة الاستيعاب فقتل عادات القراءة والتثقيف ورغم أن الإذاعة والتليفزيون تعتمد على المصادر الثقافية المعروفة من مسارح إلى مكتبات إلى قاعات بحث إلا أنها تتعامل مع المادة الثقافية تعاملا كيفيا)[1] .

هذه من الآثار التى خلفتها وسائل الإعلام فمن قبل كان المتعلم يتجه إلى مكتبة ما يقرأ ويطلع أما الآن فيكتفى بما تبثه وسائل الإعلام . فيجلس أوقاتاً طويلة أمام الشاشة لا يقرأ ولا يراجع . ولقد لوحظ أن الطلاب الذين يحرصون على مشاهدة التلفزيون أقل تفوقاً من غيرهم وقتل عادات القراءة والاطلاع التى أشار إليها الأستاذ فائق فهيم راجعه إلى ما تقدمه الإذاعة والتلفزيون من برامج تثقيفية يعتقـــد المشاهد والسامع أنها تغنيه عن الاطلاع .

وهذا بالطبع خلاف الواقع فالمعلومات المعطاة إنما هى مفاتيح تدفع بها المتعلم إلى الاطلاع والقراءة .

---

(١) من إملاء الأستاذ / فائق فهيم فى أثناء محاضراته فى مدرجات كلية العلوم .

إعادة دور المسجد :

لقد تحدثنا فى فصل سابق عن أهمية دور المسجد فى حياة المسلم وكيف كان فى العصور الماضية هو المعهد والجامعة وقاعة الدراسة فى ساحته يلتقى المدرس بتلاميذه وفى أرجائه يسمع صوت العلماء يناقشون تلاميذهم . ولقد هضم حق المسجد فى القرن الحالى فلا عناية وأصبح مكانا تؤدى فيه الصلاة خمس مرات كل يوم مدة خمس دقائق فقط .

إننا نريد إعادة دور المسجد وجعله مركزاً للتعليم والتثقيف لا أقول نهدم مبانى المدارس أو نحولها إلى مساجد .

بل تكون المساجد حلقة اتصال تعقد فيها الدروس وتنشأ فيها مكتبات صغيرة مناسبة لأهل الحى . ويدرس فيها القرآن والسنة وتكون عوناً على إنهاض هذه الأمة من كبوتها ووسيلة إلى طاعة الله .

ويقوم على هذه المساجد رجال جندوا أنفسهم لخدمة المسلمين وتقديم النصح لهم .

نظرتنا إلى المستقبل

وبعد استعراضنا المجمل للواقع التعليمى والتربوى الذى تعيشه البلاد الإسلامية خلال القرن المنصرم — الرابع عشر .

الذى تميز بأنه فترة نهوض للعالم العربى الإسلامى من نومه واستيقاظه من سباتة بعد عهود الاستعمار التى منى بها .

وقد ذكرنا بعض مشكلات التربية والتعليم فى البلاد الإسلامية والأمل الذى نتمناه أن يكون فى القرن القادم .

وهذا الأمل الذى نتمناه له خطوات اعتقد أننا إذا سرنا عليها أو حاولنا السير عليها فإن ما نؤمله سوف يكون وما نرجوه سوف يحصل .

أولا : بالنسبة للقضاء على الازدواجية :

هذه الازدواجية التى عرفنا أضرارها وبلاءها وعشنا فى مرارتها نأمل أن يقضى عليها فى مجال الفكر والسلوك لنربى الأجيال القامة على التميز والحرية الفكرية . ونطرح هذه الأفكار الدخيلة علينا .

وأعتقد أن هذه المهمة ملقاة على عواتق المعلمين والمربين بالدرجة الأولى وعلى المسئولين اختيار المنهج القويم الذى يتمشى مع مبادىء الشريعة وأصول العقيدة .

١ — ولا يكون ذلك إلا باستقلال التعليم استقلالا تاماً يفصله عن الإنتماء والتبعية .

٢ — وقبل ذلك الاعتناء التام بالمدرسين والحرص عليهم وتعزيز مراكزهم المالية . وتحسين أوضاعهم الاقتصادية ليتفرغوا لتربية الأجيال تربية تقوم على الخلق القويم والفهم السليم .

٣ — طبع الكتب التى توضح المنهج الإسلامى فى شئون الحياة المختلفة والتخلص من الكتب التى تقف موقف الرد والإنهزامية أمام الأفكار التى تواجهها وتوزيع هذه الكتب على طلبة المدارس .

٤ — كذلك إقامة المسابقات الثقافية المختلفة تشجيعاً لهم على القراءة والاطلاع .

٥ — عقد دورات بين الحين والحين لمدرسى المدارس وشرح أهداف التربية والتعليم وتوضيح الأفكار المادية وكيفية تلقين الطلبة المعلومات الصحيحة . وذلك لأن المدرس إذا سار على وتيرة

واحدة خلال سنوات عديدة فى طريقة إلقاء الدرس فإنه لا بد أن يلسى ويلشغل عن دور التربية الملقى على عاتقه .

٦ — إسناد وضع المناهج خاصة المناهج العلمية إلى أشخاص سليمى العقيدة واضحى الفكرة . لأن المنهج هو الصورة التى أمام الطلاب .

الاختلاط :

إنشاء مدارس منفصلة على غرار الموجودة فى المملكة تحفظ للشباب كرامتهم وللشابات عفتهن وأخلاقهن .

وإن كان غير ممكن فجعل التعليم على فترتين وليس فى ذلك أى تعب أو مشقة .

فى مجال التعريب وإعادة كتابة التاريخ :

إيجاد مجموعة من المؤلفات باللغة العربية واقترح أن تكون الكتب على ما يلى :

١ — كتب تختص بالعلوم والمعارف المختلفة يؤخذ فيها أسلوب الجدة والابتكار فى التبويب . وليس بالضرورى أن نترجم حرفياً . إنما نكتب عن موضوع ما من عدة كتب .

وأحسن مثال على ذلك الكتب التى تعدها جامعة الرياض .

٢ – التفكير الجدى فى إصدار دوريات علمية تحمل أنواعاً من العلوم لكى يطلع عليها المتعلمون .

٣ – تبسيط المناهج العلمية وتوضيحها وليس العبرة بحجم الكتب أو شكل الطباعة إنما العبرة فى القالب الذى تعطى به المادة العلمية .

٤ – كتابة الغزوات والسير والتراجم التاريخية بأسلوب عصرى ممتع تكون خاصة لطلبة الابتدائى والمتوسط ونحثهم فيها على قراءتها وأضرب مثالا على ذلك بكتاب صور من حياة الصحابة للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا .

٥ – تدوين موسوعة تاريخية متسلسلة بأسلوب جيد يقوم عليها علماء موثوق بصلاحهم وغيرتهم .

بالنسبة لإعادة دور المسجد :

١ – فتح مدارس لتعليم الطلاب القرآن الكريم على غرار ما تقوم به جماعة تحفيظ القرآن الكريم فى المملكة .

وتشجيع الطلاب المتفوقين فى مجال الحفظ والقراءة .

٢ ــ عقد ندوات بعد المغرب فى مسجد الحى ودروس فى علوم الشرع .

٣ ــ فتح مكتبات تحتوى على الكتب الأساسية فى الثقافة العامة .

بالنسبة لدور وسائل الإعلام :

١ ــ تقليل البث البرامجى فى التلفزيون لكى يتسنى للطلبة القراءة والمراجعة وللآباء تربية أبنائهم وتوجيههم .

٢ ــ توجيه البرامج المبثوثة وتنقيحها بما يتناسب وتعاليم الشرع .

٣ ــ إصدار مجلات ثقافية بالحجم الصغير ليتناسب مع ميول طلبة المدارس .

٤ ــ الاكثار من برامج المسابقات فى أنواعها المختلفة .

٥ ــ الاهتمام بواقع المسلمين والأخطار المحدقة بهم ويمكن برمجة ذلك فى التمثيليات والكلمات والمسرحيات التى تعرض والابتعاد عما قد يحرف الطلاب إلى أوضاع غير مرغوبة .

بالنسبة لدور المتخصصين :

١ — تكريم المتخصصين وإعطائهم الأولية فى المرتبات والعلاوات أى تحسين وضعهم المالى .

٢ — إيجاد المرافق الخاصة بهم والإسراع فى ذلك حتى ولو كلفت أموالا طائلة فإن هجرة عقل واحد عن موطنه خسارة فادحة لا تعوض .

٣ — إشعار المجتمع بأهميتهم ودورهم فى تقدم البلاد . وليس المنصب الكبير هو دليل التكريم .

إنما قد يكون فى منصب صغير ولكنه يؤدى دوراً ضخماً .
أضرب مثالا على ذلك الكيميائى فى مختبره أو فى مختبر أحد المستشفيات والمصانع .

قد يعتبره البعض أنه منصب لا قيمة له فلذا لا بد من إشعار المجتمع بأهميته ونفعه .

وقبل ذلك وبعده الشعور التام بالعزة والرفعة عزة فى النفس ترفع الإنسان المسلم من ذل التبعية وخضوع الاستجداء .

ومعرفة أن فى بلاد المسلمين طاقات وثروات وأنه لا ينقصها

إلا الأجيال التى تضحى بوقتها ومالها فى سبيل تقدمها على الأمم ورفعتها بين العالم .

ولنا فى الأجيال القادمة عظيم الأمـل فى أنهم يستردون ما عجزنا وعجز آباؤنا عن استرداده .

وأداء ما قصرنا وقصر آباؤنا عن أدائه .

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

حمد بكر العليان
الرياض ١٤٠٠/٧/١ ﻫ
ص.ب ١٥٣٩١

المراجع

القرآن الكريم :

رياض الصالحين :

الإمام النووى ـــ دار المأمون للتراث

جامع بيان العلم وفضله :

أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي ـــ دار الفكر العربى ج ١

التربية الإسلامية الحرة :

أبو الحسن على الحسنى الندوى ـــ مؤسسة الرسالة ج ٢

معالم فى الطريق :

سيد قطب

منهج القرآن فى التربية :

محمد شديد ـــ مؤسسة الرسالة

منهج التربية الإسلامية :
محمد قطب ـ دار الشروق

التربية البدنية فى الإسلام :
محمد خير الدرع ـ المكتبة الأموية الطبعة الأولى ١٣٩٠

مزايا الثقافة الاسلامية :
مناع القطان ـ مطبعة معتوق إخوان ١٩٦٦

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين :
أبو الحسن الندوى ـ الطبعة العاشرة

الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية :
محمد الحسينى عبد العزيز ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت

المسجد وأثره فى المجتمع الاسلامى :
د. على عبد الحليم محمود ـ دار المعارف ـ مصر

المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل :
وحيد الدين خان ـ الطبعة الأولى المختار الاسلامى

المستقبل لهذا الدين :
سيد قطب ـ دار الشروق

نظرية داروين :

قيس القرطاس ــ مؤسسة الرسالة

الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم :

د . مصطفى السباعى ــ المكتب الاسلامى الطبعة الثانية ١٣٩٩

التربية :

أنور الجندى ــ دار الاعتصام

العلم للمواطن :

لا نسلوت هوجين ــ دار الفكر

نحو وعى لغوى :

د . مازن مبارك ــ مكتبة الفارابى دمشق

حصوننا مهددة من داخلها :

د . محمد محمد حسين ــ المكتب الإسلامى

فى التاريخ فكرة ومنهاج :

سيد قطب ــ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٧هـ الدار السعودية للنشر

مذكرة مقدمة فى وسائل الاتصال :

للأستاذ فائق فهيم ــ مطبوعة على الاستنسل

معجزة تحت الرمال :

أحمد عسه — المطابع الأهلية اللبنانية الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥

بحث فضل اللغة العربية على وحدة الأمة :

للباحث — دخل المسابقة الثقافية لرعاية الشباب سنة ١٣٩٧هـ
العدد الثالث

مقالة بعنوان الناحية الفكرية فى حياة الأمة :

للباحث — مجلة المعرفة كلية العلوم السنة السادسة ١٣٩٩ هـ

الفهرس

رقم الإيداع ٨١/٢٠٥٦ الترقيم الدولى ٣ - ١٢ - ٧٣٤٠ - ٩٧٧

دار الثقافة العربية للطباعة
تليفون : ٩١٦٧٢٤١ - عابدين